

عابدات زاهدات جارية سوداء

◆ —◆ نساء عابدات ◆ —◆

عابدات زاهدات جارية سوداء

ومن العابدات الزاهدات مجهولات الأسماء ، جارية سوداء كان "عطاء ، ومجاهد" ، يختلفان إليها في ناحية من نواحي "مكة" تبكيهما ، ثم يرجعان ^(١) .

فانظر إلى هذه المرأة العابدة ، الزاهدة ، والتي كانت تقيم في ناحية من نواحي "مكة المكرمة" يذهب إليها "عطاء ، ومجاهد" لتذكرهما بالله - عز وجل - والخوف من لقاء الله سبحانه ، كما أنه دليل حاسم على فقه الجارية العابدة حيث إنها أبكت "عطاء ، ومجاهد" ودليل أيضاً على رقة قلب الرجلين ، والخوف من العاقبة .
وصدق الله تعالى إذ يقول :

" إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ

عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ " ^(٢) .

وهناك عابدة أخرى من مجهولات الأسماء يروى لنا عنها مالك بن دينار فيقول : " رأيت امرأة "بمكة" من أحسن الناس عينين فكان النساء يجئن فينظرن إليها ، فأخذت في البكاء .

(١) صفة الصفوة / ج ٤ ص ٤٩٤ .

(٢) سورة الأنفال آية رقم (٢) .

ف قيل لها : " تذهب عيناك " فقالت المرأة العابدة : إن كنت من أهل الجنة فيبدلني الله عينين أحسن من هاتين ، وإن كنت من أهل النار فسيصيبها أشد من هذا ، فبكت حتى ذهبت إحدى عينيها ^(١) -رحمها الله تعالى- .

فانظر إلى هذه العابدة ، الزاهدة الخاشعة والتي بكت بكاءً مرّاً خشية لقاء الله -عز وجل- وعقابه للعصاة ، ولما أن قال لها الناس : رفقاً أيتها المرأة بنفسك ، وارحمي عينيك حتى لا تصاب العين بأذى ، من مرض أو عى فكانت إجابة العابدة الزاهدة إجابة تخرس كل الألسن حيث إنها قالت إن أدخلني الله -عز وجل- الجنة فسيبدلني بعينين أحسن وأجمل وإن كانت الأخرى فسيصيب عيني من العذاب ما هو أشد وأنكى وآلم حيث النار لا تترك بصرّاً ، ولا جلدّاً ولا عظماً إلّا وستحرقه ، وتذهب به ، وستكون هذه الجوارح شهوداً على ابن آدم فى الدار الآخرة ، وهى من بين الجوارح التى ستلتهمها النار يقول تعالى :

" أَلْيَوْمَ خَتِمَ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ " (٢) .

(١) ذاته .

(٢) سورة يٰن آية رقم (٦٥)

فانظر إلى هذه العابدة بعين الاعتبار ، والاتعاض حيث إنها أثرت الآخرة على الدنيا ، وفَضَّلَتْ أن تعيش بلا عَيْنَيْنِ في سبيل النعيم الأخرى ، فهؤلاء وأمثالهم من الذين تعنيهم الآية :

" فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٢٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٢٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣١﴾ " (١) .

وهذه عابدة ثالثة كانت حكيمة ، مجاورة " بمكة المكرمة " يقول " المغازى " : " دخلنا عليها ذات يوم فقالت لها امرأة كانت تخدمها : "إخوانك جاعوك يحبون أن يسمعوا كلامك يقول " المغازى " : فبكت طويلاً ثم أقبلت علينا فقالت : " إختى ، وقرة عيني مثّلوا القيامة نصب أبصار قلوبكم وردوا على أنفسكم ما قد تقدم من أعمالكم فما ظننتم أنه يجوز في ذلك اليوم فارغبوا إلى السيد في قبوله ، وتمام النعمة فيه وما خفتم أن يرد في ذلك اليوم عليكم فخذوا في إصلاحه من اليوم ، ولا تغفلوا عن أنفسكم فترد عليكم حيث لا يوجد البذل ، ولا يقدر على الفداء ، يقول : ثم بكت طويلاً ، ثم أقبلت علينا فقالت : "إختى ، وقرة عيني إنما صلاح الأبدان ، وفسادها في حسن النية وسوءها ، إختى وقرة عيني إنما نال المتقون المحبة لمحبتهم له ، وانقطاعهم إليه ، ولولا الله ورسوله ما نالوا ذلك ، ولكنهم أحبوا الله ورسوله فأحبهم عباد الله ورسوله

(١) سورة النازعات الآيات (٣٧ : ٤١) .

، إختوتى وقرّة عيني كلّمّ الخوف قلوب أهله فاقتطعهم والله ، وشغلهم عن مطاعم اللذات والشهوات ، إختوتى وقرّة عيني بقدر ما تعرضون عن الله يعرض عنكم بخيره ، ويقدر ما تقبلون عليه ذلك يقبل عليكم ، ويزيدكم من فضله ، والله واسع كريم ^(١) .

فهذه امرأة عابدة من العابدات اللائى يخشون ربهم ، وتتجافى جنوبهم عن المضاجع طمعاً فى رحمته ، وخوفاً من عذابه فتراها تخاطب زوّارها بأدب ، وتواضع قائلة لهم : " إختوتى وقرّة عيني انظروا إلى الدار الآخرة واجعلوها نصب قلوبكم وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعملوا لدارٍ لا منجاة فيها لأحد إلا من أتى الله بقلب سليم ، ثم تعرب المرأة عن حكمة بالغة تعد فى الحقيقة من الكلمات العوالى ، والحكم الغوالى حيث تقول : " إنما صلاح الأبدان وفسادها فى حسن النية وسوءها " وهذه ترجمة حقيقية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم - : " نية المرء خير من عمله " ، وقوله عليه الصلاة والسلام : " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليها ، وقال عليه الصلاة والسلام : " ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب " .

(١) ذاته .

كما دلت وبرهنت على أن المتقين إنما نالوا محبة الله بحب عباد الله لهم حيث وضع لهم القبول في الأرض فإذا أحب الله عبداً أمر جبريل أنه أحبه ثم يأمره أن ينادي في أهل السماء إن الله أحب فلاناً فأحبه ثم يوضع له القبول في الأرض فيحبه أهل السماء وأهل الأرض ، وكذلك إذا كره الله عبداً يأمر جبريل بكراهيته ، ثم ينادي في أهل السماوات إن الله أبغض فلاناً فأبغضوه فيبغضه أهل السماء ثم يوضع له القبول الأرض قبببغضه أهل السماوات وأهل الأرض ، وفي حديث صحيح يقول النبي صلى الله عليه وسلم - : " ثلاثة من كن فيهم وجد حلاوة الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرأ لا يحبه إلا الله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار " .

والحب إن ملك النفوس أعزها والعارفون بربهم علماء وبقدر طاعتنا لله ، وحبنا لرسوله -عليه السلام- يحبنا الله تعالى ويكلأنا برعايته ، ويعصمنا بحفظه ، ويفيض علينا من نعمائه وبقدر إقبالنا عليه -عز وجل- يقبل علينا بخيره ويزيدنا من فضله والله واسع كريم .

◆ —◆ نساء عابدات ◆ —◆

جوهرة العابدة

◆————◆ نساء عابدات ◆————◆

جوهرة العابدة

هى العابدة ، الزاهدة "جوهرة العابدة البراثية" ، فقد نزلت "براثاً" وكانت مع زوجها "أبو عبدالله البراثى" .

ويروى لنا "حكيم بن جعفر" عن "جوهرة العابدة" فيقول :
"كانت "جوهرة" امرأة "أبى عبدالله البراثى" جارية لبعض الملوك
فعتقت ، فخلعت الدنيا ، وزهدت فيها وضربت وجه عشاقها حيث يقول
الصوفى الزاهد : "الحسين بن منصور الحلاج" لسائل سأله كيف أصل
الله ، فقال له "الحلاج" : بينك وبين الله خطوتين ،

الأولى : أن تضرب بالدنيا وجه عشاقها .

والثانية : أن تسلم الأمور لأربابها .

لا تدبر لك أمرا فألوا التدبير هلكى

سلم الأمر إلينا نحن أولى بك منك

ويقول الله - عز وجل - فى كتابه الكريم :

" وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ

الْوُثْقَى ... " (١) .

وبعد أن خلعت "جوهرة" الدنيا ، وزهدت فيها ، لزمته "أبا عبدالله
البراثى" فتزوجها ، وتعبدت (٢) .

(١) سورة لقمان : من الآية ٢٢ .

(٢) صفة الصفوة / لابن الجوزى ، تحقيق أحمد بن على جـ ص ٥٧ ط دار الحديث بالقاهرة .

ويروى لنا زوجها " عبدالله البرائى " عن " جوهرة " ، فيقول : " قالت لى "جوهرة" يوماً : يا أبا عبدالله ، النساء يحلين فى الجنة إذا دخلنها ؟ قلت : نعم ، قال : فصاحت "جوهرة" صيحة غشى عليها ، فلما أفاقت قلت ما هذا الذى أصابك ؟ قالت جوهرة : ذكرت حالى تلك وما كنت قد نلت من الدنيا فخشيت والله حرمان الآخرة ، وقد رأت "جوهرة" فى منامها خياماً مضروبة ، يعنى خياماً قد نصبت ، فقالت " جوهرة " : لمن ضربت هذه الخيام ؟ فقل لها : للمجتهدين بالقرآن فكانت "جوهرة" بعد ذلك لا تنام ، يعنى أخذت فى قراءة القرآن ، وأسهرها تلاوته ، وشغلت نفسها بقراءته ويقول "البرائى" : " كانت "جوهرة" تنبهنى من الليل وتقول : يا أبا عبدالله " كاروان رفت " ومعناه قد سارت القافلة ، وهنا تدعوه "جوهرة" إلى السهر فى العبادة وقضاء الليل فى الذكر ، فقد بدأ المسيرة قافلة العبّاد حيث أبت عيونهم الاكتحال بالنعاس ، وتجافت جنوبهم عن المضاجع خشية من الله - عز وجل - وطمعاً فى رحمته وخوفاً من عقابه .

ويروى لنا " حكيم بن جعفر " فيقول : " كنا نأتى " أبا عبدالله البرائى " ابن أبى جعفر "الزاهد" وكان أيضاً يسكن " براءاً " وكانت له امرأة متعبدة يقال لها " جوهرة " وكان " أبو عبدالله " يجلس على حُلّة خوص بحرانية ، و "جوهرة" جالسة حذاءه أى بمساواته على جُلّة أخرى مستقبلية القبلة فى بيت واحد فأتيناه يوماً وهو جالس على الأرض ليست الجلة تحته ، فقلنا : " يا أبا عبدالله " ما فعلت بالجلة التى كنت تقعد عليها ؟

فقال : إن "جوهرة" أيقظتني البارحة فقالت : "أليس يقال في الحديث " إن الأرض تقول لابن آدم ، تجعل بيني وبينك سترًا وأنت غداً في بطني ؟ قال : قلت : نعم ، قالت : فاخرج هذه الجلال ، لا حاجة لنا فيها ، ففقت والله فأخرجتها هذا زهد حقيقي ، وخشية لله - عز وجل - فلقد كانت "جوهرة" جارية ، وخادمة لدى سيدها ، ولما أعتقت زهدت في الدنيا ، وشمرت عن ساعد الجد واجتهدت في العبادة ، ومع هذه العيشة القاسية ، وشظف العيش ولم تتل من النعيم ، ولا نصيب من حظ الدنيا إلا القليل ومع ذلك نراها تقول : ذكرت حالي تلك ، وما كنت قد نلت من الدنيا فخشيت والله حرمان الآخرة في هؤلاء المنغمسين في الشهوات ، والغارقين في الملذات ، والجارين في تحقيق الطموحات ، والأكليين لأموال اليتامى ، والناهبين للمال العام ، والظالمين لغيرهم ، ماذا يقولون لله في الآخرة.

يقول بهلول المجنون :

يا من تمتع بالدنيا وزينتها ولا تنام عن اللذات عيناه
أفانيت عمرك فيما لست تدركه تقول لله ماذا حين تلقاه
ندعو الله - عز وجل - أن يهدينا سواء السبيل ، وأن يوفقنا لما فيه
رضاه ، ويغنا بفضلِه عن سواه .

◆————◆ نساء عابدات ◆————◆

عابدات زاهدات

◆————◆ نساء عابدات ◆————◆

عابدات زاهدات

وهناك عابدات زاهدات مجهولات الأسماء ، ولهن قدم راسخة في الورع والزهد ، وخشية الله - عز وجل - فيروى لنا " عبدالله بن المبارك " أن امرأة قالت للسيدة الفضلى " عائشة بنت أبى بكر - رضى الله عنهم - جميعاً : " اكشفى عن قبر النبى - صلى الله عليه وسلم - فكشفت لها عنه فبكت حتى ماتت (١) .

وهذا دليل حاسم على فرط حبها لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعشق ما بعده عشق ، ذلك الأمر الذى جعل المرأة العابدة تبكى على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى تفارق الحياة ، وتلك هى حلاوة الإيمان حيث يقول النبى - صلى الله عليه وسلم - ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار " .

ولا غرو ، ولا عجب فى أن تبكى هذه المرأة العابدة على فراق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى تموت ، فذلك هو الحب الخالص لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذى انتشل البشرية من ظلام دامس ، وجاهلية جهلاء ، وأمىة نكراء إلى نور ساطع ، وشمس مشرقة ، وحقاً : فمن ذاق عرف ، ومن حرم انحراف .

(١) صفة الصفوة / ج ١ ص ٤١٠ .

وهناك عابدة أخرى مجهولة الاسم أيضاً .

يروى لنا عنها " إبراهيم بين عبدالله المدينى " حيث يقول :
"حدثنى أصحابنا أن امرأة كانت بالمدينة ترهق فدخلت المقابر ذات يوم ،
فإذا هى بجمجمة قد بدت ، فو الله ما عاورتنى تلك الوسوسة بعد تلك
الليلة ، يقول : فصرخت ثم رجعت منيية ، فدخل عليها نساؤها فقلن : ما
هذا ؟ فقلت :

بكى قلبى لذكر الموت لمّا رأيت جماجماً جوف القبور
ثم قالت : أخرجن عنى فلا تأتين منكم امرأة ترغب فى خدمة الله
تعالى ، ثم أقبلت على العبادة حتى ماتت على ذلك (١) .

وهذه المرأة العابدة ، والتي رأت جمجمة لميت فذكرتها بالموت
والدار الآخرة ، فعرفت أنها ستلقى مثل هذا المصير حيث تحل جسم
الإنسان ، ونخر الدود عظامه ، وأصبح أثراً بعد عين ، فدعاها ذلك إلى
البكاء المرّ ، والنحيب الشديد خشية الله - عز وجل - حيث أقبلت على
عبادة الله وطاعته حتى ماتت وهى متبيلة ، زاهدة عابدة .

أرأيت العباد ؟ أرأيت الخوف من الله - عز وجل - ؟ أرأيت كيف
كان الاستعداد للموت ، ونحن فى دنيانا نودع فى كل يوم ، بل فى كل
ساعة ميتاً ، أو أكثر من ميت ولا نتعظ ، ولا نحاول الأوبة إلى الله - عز
وجل - حيث قساوة القلوب ، وإلا نهماك فى أمور الدنيا حيث عمّرنا
الدنيا بكل غالٍ ومرتخص ، وخربنا الآخرة بأعمالنا الفاسدة فيجب علينا

(١) ذاته ص ٤١٠ .

أن نتذكر هازم اللذات ، ومفرق الجماعات وميتم البنين والبنات ، وأن نعمل حساباً للقبر وهو أول منازل الآخرة حتى يكون لنا روضة من رياض الجنة .

وهذه عابدة اخرى مجهولة الاسم ..

يروى لنا عنها " أبو أيوب " وهو رجل من قریش فيقول : " إن امرأة من أهلها كانت تجتهد في العبادة ، وتديم الصيام وتطيل القيام فأتاها الملعون فقال : إلى كم تعذبين هذا الجسم وهذه الروح ؟ لو أفطرت وقصرت عن الصيام والقيام كان أدوم لك وأقوى . قالت : فلم يزل يوسوس لي حتى هممت والله بالتقصير . قالت : ثم دخلت مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - معتصمة بقبره ، وذلك بين المغرب والعشاء فحمدت الله ، وصليت على رسوله ، ثم ذكرت ما نزل بي من وسواس الشيطان ، واستغفرت ، وجعلت أدعو الله أنه يصرف عني كيده ووساوسه ، قالت فسمعت صوتاً من ناحية القبر يقول :

" إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَّ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ " (١) .

قالت : " فرجعت مذعورة وجلة القلب فو الله ما عاودتني تلك الوسوسة بعد تلك الليلة " (٢) .

(١) سورة فاطر آية رقم (٦) .

(٢) ذاته ص ٤١١ .

فهذه عابدة وسوس لها الشيطان بأن تترك العبادة ، وتريح جسدها الذى أرهقه الصوم ، وذهبت بنضارته العبادة إلا من نور الإيمان الذى يملأ القلب ، ويجعل الوجه مشرقاً وضّاء حتى همّت بالتقصير ولكنها همّت بالعلاج من وساوس الشيطان فدخلت المرأة مسجد النبى - صلى الله عليه وسلم- واعتصمت بقبره -عليه السلام- بين المغرب والعشاء ، فحمدت ربها -عز وجل- ، وصلت على رسوله -عليه السلام- وذكرت ما ينزل بها من وساوس الشيطان ، وتضرعت إلى الله -عز وجل- متوسلة برسوله -عليه السلام- داعية أن يصرف الله عنها كيد الشيطان ، ووساوسه ، وبينما هى كذلك إذ سمعت صوتاً من ناحية من نواحي القبر يتلو قول الله -عز وجل- إن الشيطان لكم عدواً فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ، ثم رجعت المرأة العابدة الزاهدة الورعة التقية ، وجلة القلب خائفة ، ولكنها حظيت بما كانت ترجوه من صرف كيد الشيطان عنها وحفظها من وساوسه ، وتلك عناية الله -عز وجل- بعباده الطائعين الذين يخشون ربهم ، وتأبى أعينهم أن تكتحل بنوم طمعاً فى رحمته ، وخوفاً من عذابه . إنهن بحق قدوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر .

وعابدتان مدينتان :

بلغنا عن " عبدالله بن أخت مسلم بن سعد " أنه قال " أردت الحج فدفعت إلى خالى "مسلم" عشرة آلاف درهم ، وقال لى : إذا قدمت المدينة فانظر أفقر أهل بيت بالمدينة فأعظم إياها ، فلما دخلت سألت عن

أفقر أهل بيت بالمدينة ، فدلوني على أهل بيت ، فطرقت الباب ، فأجابتنى امرأة من انت ؟ فقلت : أنا رجل من أهل " بغداد " أودعت عشرة آلاف درهم ، وأمرت أن أسلمها إلى أفقر أهل بيت بالمدينة وقد وصفهم لى فخذوها ، فقالت " يا عبدالله إن صاحبك اشترط أفقر أهل بيت ، وهؤلاء الذين بإزائنا يعنى بجوارنا أفقر منا ، فتركتهم ، وأتيت أولئك ، فطقت الباب فأجابتنى امرأة فقلت لها : مثل الذى قلته لتك المرأة ، فقالت : " يا عبدالله نحن وجيراننا فى الفقر سواء فاقسمها بيننا وبينهم " (١)

حقاً هؤلاء هم العباد ، والزهاد الذين اتجهوا بكليتهم إلى الدار الآخرة حيث النعيم المقيم الأمر الذى جعل المرأة تقول للرجل جراننا أفقر منا فأعطهم العشرة آلاف درهم ، ثم انظر متأملاً معى كيف كان رد أهل البيت الآخر حيث قالت المرأة : يا عبدالله نحن وهم فى الفقر سواء ، فاقسم العشرة آلاف درهم بيننا وبينهم ، ذلك هو الإيثار ، وخلق المسلم ، وصدق الله تعالى إذ يقول : " ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ويقول سبحانه : " ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، فليتأمل هذا أهل الجشع الذين يتصارعون على اكتناز المال ، وتحقيق الثروات الطائلة ، وجمع المال من طرق مشروعة وغير مشروعة ، ومن حلال مرة ومن حرام مرّات دونما خشية من الله - عز وجل - .

(١) ذاته ص ٤١١ .

فواجب على المسلم أن يتحرى الحلال ، فالماء كالماء الملح كلما
ازددت منه شرباً ازددت عطشاً ، ويقول الشاعر :
فما المال والأهلون إلا ودائع ولا بدّ يوماً أن ترد الودائع
فحقاً إن المال ظل زائل ، وعارية مشددة ، فليتخذ المسلم من
العابدات الزاهدات مثلاً يحتذ به في دنياه ليسعد في أخراه .

سكينة بنت الحسين

◆ —◆ نساء عابدات ◆ —◆

سكينة بنت الحسين

هى الزاهدة ، الورعة ، السيدة ، الجلييلة ، ذات النبل ، والمقام الرفيع ، سكينة بنت الحسين بنت على بن أبى طالب . وهذا الاسم وهو " سكينة " لقي لقيتها به أمها " الرباب بنت امرئ القيس ، واختلف فى اسمها ، ف قيل " آمنة " وقيل : أمينة ، وقيل : أميمه ^(١) روت عن أبيها ، وكانت بديعة الجمال ، تزوجها ابن عمها "عبدالله بن الحسن الأكبر " ، فقتل مع أبيها قبل الدخول بها ، ثم تزوجت مصعب " أمير " العراق " ثم تزوجت " عبدالله بن عثمان بن عبدالله بن حكيم ابن حزام ، فولدت له " قُرَيْمًا " ثم تزوجها " الأصبغ بن عبدالعزيز ابن مروان " وفارقها قبل الدخول ثم تزوجها " زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان -رضى الله عنه- فأمره " سليمان بن عبدالمك " بطلاقها ففعل وكانت شهمة ، مهيبة دخلت على " هشام " الخليفة فسلبته عمامته ، ومطرفة ، وفوطقته ، فأعطاها ذلك ولها نظم جيد ، وكانت تجالس الأجلة من " قريش " . تجتمع إليها الشعراء ، والأدباء ، والمغنون فيحتكمون إليها ، فإنا أنتجتهم قرائحهم فتبين لهم الغث من السمين ، وتناقش المخطيء مناقشة علمية فيقنع بخطئه ، ويقر لها بالفضل ، وقوة الحجة وسعة الاطلاع .

(١) أعلام النساء / لعمر رضا كحاله ج٢ ص٢٠١ وهامش الصفحة .

سير أعلام النبلاء / للذهبي ج٦ ص٨٤ .

فمن ذلك أنه اجتمع بالمدينة رواية " جرير " ورواية " كثير " ،
ورواية " نُصَيْب " ورواية " جميل " ، ورواية " الأحوص " فادعى كل
رجل منهم أن صاحبه أشعر ، ثم تراضوا " بسكينة بنت الحسين فأتوها
فأخبروها فقالت لصاحب " جرير " أليس صاحبك الذى يقول :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجعى بسلام
وأى ساعة أحلى للزيارة من الطروق قُبِحَ الله صاحبك وقُبِحَ شعره
ثم قالت لصاحب " كثير " أليس صاحبك الذى يقول :

يقرّ بعينى ما بقر بعينها وأحسن شىء ما به العين قرت
كأنى أنادى صخرة حين أعرضك من الصم لو تمشى بها العصم زلت
صفوحاً فما نلقاك إلا نجيلة فمن ملّ منها ذلك الوصل ملّت
خيلى هذا ربع عزة فاعقلا قلو صيكما ثم أبكيا حيث قلت
فليس شىء أحب إليهن ، ولا أقر لأعينهن من النكاح أفيحب
صاحبك أن ينكح قبحة الله وقبح شعره ^(١)

ثم قالت لرواية " جميل " أليس صاحبك الذى يقول :

فلو تركت عقلى معى ما طلبتها ولكن طلابيها لما فات من عقلى
فإن وجدت فعل بأرض مضلة من الأرض يوماً فاعلمى أنها فعلى
خيلى فيما عشتما هل رأيتما قتيلاً بكى من حبّ قاتله قبلى
ثم قالت لصاحب .. نصيب : أليس صاحبك الذى يقول :

(١) ذاته .

أهيم بوعد ما حييت فأن أقف فوا حزنى من ذايهيم بها بعدى
 كأن يتمنى لها من يتعشقها بعده قيح الله صاحبك ، وقبح شعره
 الآمال :

من عاشقين تراسلا وتواعدا ليلاً إذا نجم الثريا حلقا
 باتا بأنعم ليلة وألذها حتى إذا وضح الصباح تفرقاً
 قال : نعم . قالت قبحة الله ، قبحة الله ، وقبح شدة ألا قال تعائفا (١) .

وفى رواية أنه اجتمع فى ضيافة " سكينة بنت الحسين ، جرير
 والفرزدق ، وجميل ، والنصيب ، فمكثوا أياماً ثم أذنت لهم فدخلوا
 فقعدت حيث تراهم ، ولا يرونها ، وتسمع كلامهم ، فأخرجت إليهم جارية
 لها وضیئة ، وقد روت الأشعار والأحاديث ، فقالت : أيكم " الفرزدق ؟
 فقال الفرزدق : ها أنا ذا ، قالت : أنت القائل :

هما دليانى من ثمانين قامة كما انقض باز أقتم الريش كاسره
 فلما استوت رجلاى بالأرض قالتا أحى يرجى أم قتيل نحاذره
 فقلت ارفعوا الأسبا لا يشعروا بنا ووليت فى أجاز ليل أدباره
 أحاذر بوابين قد وكلا بنا أو احمر من ساج تنط مسامرة
 فأصبحت فى القوم القعود وأصبحت مغلقة دونى عليها ساكره
 يرى أنها أضحت حصاناً وقد جرى لنا يرقاها ما الذى أنا شاكره

(١) ذاته ص ٢٠٤ .

قال : نعم أنا قتلته . قالت : ما دعاك إلى إفشاء شرك وسرها أفلا سترت على نفسك وعليها ، خذ هذه الألف درهم وانصرف .
قال : بل اتركها واللحاق بأهلى أجمل ، ثم دخلت وخرجت فقالت : أيكم جرير ؟ قال : ها أنا ذا قالت أنت القائل :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجعي بسلام
تجرى السواك على أغر كأنه برد تحدر من فنون غمام
لو كان عهدك كالذى حدثينا لوصلت ذاك فكان غير رمام
إني أوصل من أردت وصاله بحبال لا صلق ولا لوام
قال جرير : أنا قلته . قالت : أفلا أخذت بيدها ورحبت بها وقلت فادخلي بسلام أنت رجل عفيف .. وقيل ضعيف .. خذخ هذه الألفين درهم والحق بأهلك .

وخرج " الفرزوق " حاجاً فلما قضى حجة عدل إلى المدينة فدخل إلى " سكينه بنت الحسين " فسلم . فقالت له : يا فرزوق من أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت أشعر الناس منك جرير الذى يقول :
بنفسى من تجنبه على عزيز على ومن زيارته لمام
ومن أمسى وأصبح لا أراه ويطرقتنى إذ هجع النيام
فقالت والله لو أذنت لأسمعتك أحسن منه ، قالت : أقيموه فأخرج ثم عاد إليها من الغد فدخل عليها ، فقالت : يا فرزوق من أشعر الناس ؟ قال : أنا ، قالت : كذبت صاحبك جرير أشعر منك حيث يقول :
لولا الحياء لعادنى استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

كانت إذا هجر الضجيع فراشها كتم الحديث وعنت الأسرار
لا يلبث القراء أن يتفرقوا ليل يكر عليهم ونهار
فقال : والله لئن أذنت لى لأسمعك أحسن منه . فأمرت به فأخرج
. ثم عاد إليها فى اليوم الثالث وحولها مولدات كأنهن التماثيل . فنظر "
الفرزوق " إلى واحدة منهن فأعجب بها وبهت بنظر إليها ، فقال له "
سكينة " يا فرزوق من أشعر الناس ؟ قال : أنا ، قالت كذبت صاحبك
أشعر منك حيث يقول :

إن العيون التى فى طرفها من قتلنا ثم لم يحيين قتلنا
يصر عن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركاناً
أتبعتهن قلة إنسانها غرق هل ما ترى تاركاً للعين إنساناً
فقال : والله لئن تركتيني لأسمعك أحسن منه . فأمرت بإخراجه
فالتفت إليها وقال : يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم- إن لى
عليك حقاً عظيماً ضربت إليك من مكة إرادة التسليم عليك فكان جزائى
من ذلك تكذابينى وطروى وتفضيل "جرير" على ومنعك إياى أن أنشدك
شيئاً من شعرى وبى ما قد عيل منه صبرى وهذه المنايا تغدو وتروح
ولعلى لا أفارق المدينة حتى أموت فإذا أنا مت فمرى بى أن أدرج فى
كفى وأدفن فى .. هذه الجارية يعنى التى أعجبه فضحكت سكينة
وأمرت له بالجارية فخرج بها آخذاً بربطتها ، وأمرت بالجوارى فدفعن فى

أَفْقَيْتَهَا وَنَادَتْهُ يَا " فَرْزُوقَ " احْتَفِظْ بِهَا وَأَحْسِنْ صَحْبَتَهَا فَإِنِّي أَثْرَكَ بِهَا عَلَى نَفْسِي (١) .

ولها نوادر وحكايات ظريفة مع الشعراء وغيرهم ، من ذلك أنه يروى أنها وقفت على " عروة بن أذينة - وكان من أعيان العلماء ، وكبار الصالحين وله أشعار رائقة - فقالت له : أنت القائل :

إِذَا وَجَدْتُ أَدَارَ الْحَبِّ فِي كَبْدِي أَقْبَلْتُ نَحْوَ سِقَاءِ الْمَاءِ أَبْتَرِدُ
هَبْنِي بَرْدَتِ يَرْدِ الْمَاءِ ظَاهِرِهِ فَمِنْ لِنَارٍ عَلَى الْأَحْشَاءِ تَتَقَدُّ
فَقَالَ لَهَا : نَعَمْ ، فَقَالَتْ : وَأَنْ الْقَائِلُ :

قَالَتْ وَأَبْثَنْتُهَا سَرَى قَبَحَتْ بِهِ قَدْ كُنْتُ عِنْدِي تَحَبُّ السِّتْرِ فَاسْتَتِرْ
أَلَسْتُ تَبْصُرُ مِنْ حَوْلِي ؟ فَقُلْتُ لَهَا غَطَّى هَوَاكِ وَمَا أَلْقَى عَلَى بَصْرِي
فَقَالَ : نَعَمْ ، فَالْتَفَتْتُ إِلَى جَوَارٍ كُنْتُ حَوْلَهَا وَقَالَتْ : هُنَّ حَرَائِرُ
إِنْ كَانَ خَرَجَ هَذَا مِنْ قَلْبِ سَلِيمٍ قَطْ .

وكان لعروة المذكور أخ اسمه " بكر " فمات فرثاه " عروة " بقوله :

سَرَى هَمَّى وَهَمَّ الْمَرْءُ يَسْرِي وَغَابَ النِّجْمُ إِلَّا قَيْدَ فِئْرٍ (١)

(١) ذاته ص ٢٠٦ .

أراقب فى المجسرة كلَّ نجم تعرض أو على الجراة يجرى
 لهم ما أزال له قرينا كأن القلب أبطن حرَّ جمر
 على بكر أخى فارقت بكراً وأى العيش يصلح بعد بكر ؟
 فلما سمعت " سكىنة " هذا الشعر قالت : ومن هو بكر هذا ؟
 فوصف لها فقالت : أهو ذلك الأسيد الذى كان يمر بنا ؟ قالوا : نعم ،
 قالت : لقد طاب بعده كل شىء حتى الخبز والزيت ، وأسيد تصغير ^(٢)
 أسود .

وكانت دفاتها - رضى الله عنها - سنة سبع عشرة ومائة ^(٣) .
 وفى أعلام النساء أن سكىنة بنت الحسين - رضى الله عنه آل
 البيت جميعاً - توفيت بالمدينة لخمس خلون من ربيع الأول سنة ١١٧ هـ .

(١) مرآة الخبان ج١ ص ١٩٧ .

(٢) وفيات الأعيان / لابن ملكان المجد الثانى ص ٢٦٨ .

(٣) الفتر : بكسر الفاء وسكون التاء المسافة بين رأسى الأبهام والسبابة حال فتحها .

وكان والياً على المدينة " خالد بن عبدالله بن الحارث ، فى خلافة "هشام" وقيل توفيت بمكة فى الخامس من ربيع الأول سنة ١٢٦هـ (١) .

ويذكر صاحب سير أعلام النبلاء وفاتها فيقول : توفيت فى ربيع الأول سنة سبع عشرة ومائة . قلما روت .

ويذكر وفاتها صاحب الوفيات - وكانت وفاة سكيئة بالمدينة يوم الخميس خلون من شهر ربيع الأول سنة سبع عشرة ومائة -رضى الله عنها - وهو الصواب والراجح .

رضى الله عن آل البيت ..

(١) تاريخ ابن خلكان و مرآة الجنان و شذرات الذهب ، وأعلام النساء ج٢ ص٢٢٤ .
ونور الأبصار / لمؤمن الشيلخى ، والخطط التوثيقية / لعلى مبارك .

معاذة بنت
عبدالله العدوية

◆————◆ نساء عابدات ◆————◆

معاذة بنت

عبدالله العدوية

هى العائدة ، الزاهدة ، والورعة النقية ، والمسلمة النقية " معاذة بنت عبدالله العدوية " . وكانت من ربات الفصاحة والبلاغة ، والتفقه فى الدين ، والنسك والزهد، وكانت - رحمها الله- تسكن "البصرة" بالعراق ، وكانت - رحمها الله تعالى- إذا جاء النهار قالت : هذا يومى الذى أموت فيه فلا تنام حتى تصبح ، وإذا جاء البرد لبست الثياب الرقاق حتى يمنعها البرد من النوم ، وكانت تحى الليل بالصلاة فإذا غلبها النوم قامت فجالت فى الدار وهى تقول : " يا نفس النوم أمامك فإن نمت الآن طالت رقدت فى القبر على حسرة يعنى ستندمين على النوم حين تترقدين فى القبر ، فهى تحفز نفسها على العبادة وتحاور نفسها قائلة لها : إن النوم أمامك طويل حين تترقدين فى القبر فيجب عليك ألا تنامى هنا ، حتى لا تترقدين فى القبر نادمة على ما فرطت فى جنب الله وفى جنب نفسك ، فسيكون هناك ندم ، ولات ساعة مندم ثم لا تزال تدو فى الدار إلى الصباح خشية أن تموت على غفلة ونوم ، وكانت تصلى فى كل يوم وليلة " ستمائة ركعة " ولم ترفع بصرها إلى السماء أربعين سنة .

وكانت تقول : " عجبت لعين تنام وقد عرفت طول الرقاد فى ظلم القبور . وعن امرأة أرضعتها " معاذة قالت : قالت لى معاذة : " يا بنية كوني من لقاء الله تعالى على حذر ورجاء ، فإنى رأيت الراجى محفوفاً

بحسن الزلفى لديه يوم يلقاه ، ورأيت الخائف له مؤملاً له زمان يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم بكت ، ومعنى ذلك يا بنية كوني على حذر من عذاب الله ، ورجاء وطمع فى رحمته ومغفرته فإن الذى يرجو رحمة ربه قريب من الله وذلك يوم يلقاه ، وإن الخائف من الله -عز وجل- له أمل فى ربه -عز وجل- فى الدار الآخرة يوم يقوم الناس لرب العالمين ، ولما مات زوجها لم تتوسد فراشها حتى ماتت وكانت تقول : والله ما أحب البقاء إلا لأتقرب إلى ربي بالوسائل لعله يجمع بينى وبين الصهباء وولده فى الجنة وكانت تكنى . معاذة بأُم الصهباء . ومن أقوالها : صحبت الدنيا سبعين سنة فما رأيت فيها قرّة عين قط يعنى أنها لم تر سروراً فى الدنيا ، ولم تهناً بالحياة .

وروت . معاذة رحمها الله تعالى - عن عائشة أم المؤمنين - رضى الله عنها- وهشام بن عامر ، وأم عمرو بنت عبدالله بن الزبير وروى عنها . أبو قلاية ، وقتادة ، ويزيد الرشك وأيوب ، وعاصم الأحول ، وسليمان بن عبدالله البصرى ، وإسحاق بن سعيد ، وأم الحسن جدة أبى بكر العدوى ، وإسحاق بن سويد وغيرهم ، وروى لها الجماعة ، وقد أخبرنا " ثابت البنانى . أن " صلة بن أشيم " كان فى مغزى ومعه ابن له ، فقال : " أى بنى : تقدم فقاتل حتى أحسبك يعنى أذخر أجر جهادك ، وموتك فى سبيل الله عند الله -عز وجل- فحمل فقاتل حتى قتل ، ثم تقدم صلة بن أشيم- فقتل فاجتمعت النساء عند امرأته " معاذة العدوية " فقالت مرحباً ، إن كنتن جئتن لتنهئتنى فمرحباً بكن ، وإن كنتن جئتن

بغير ذلك فارجعن ، ويروى انه لما قتل " أبو الصهباء " وقتل ولدها قالت " والله يا بنيه ما محبتي للبقاء فى الدنيا للذيذ عيش ، ولا للروح نسيم ، ولكن والله أحب البقاء لأتقرب إلى ربى - عز وجل - بالوسائل آمله يجمع بينى وبين أبى الصهباء وولده فى الجنة .

ويروى لنا روح بن سلمه الوراق ، فيقول : سمعت " عفيرة العابدة " تقول : بلغنى أن معاذة العدوية لما احتضرها الموت بكّت ثم ضحكت ، فقيل لها : مم بكيت ثم ضحكت ؟ فم البكاء ومم الضحك ، قالت معاذة العدوية : أما البكاء الذى رأيتم فإنى ذكرت مفارقة الصيام ، والصلاة والذكر فكان البكاء لذلك ، وأما الذى رأيتم من تبسمى وضحكى فإنى نظرت إلى "أبى الصهباء" قد أقبل فى صحن الدار ، وعليه حلتان خضراوات ، وهو فى تفسر والله ما رأيت لهم فى الدنيا شبيهاً ، ولا أرانى أدرك بعد ذلك فرضاً فماتت -رحمها الله- قبل أن يدخل وقت الصلاة .

وقال يحيى بن معين : معاذة العدوية : ثقة حجة ، ولحقت بالرفيق الأعلى - رحمها الله تعالى - سنة واحدة ومائة من الهجرة النبوية ، وقال ابن الجوزى انها توفيت سنة ثلاث وثمانين للهجرة :

١- أعلام النساء ج ٥ ص ٦٠ ، ٦١

صفة الصفوة / لابن الجوزى

تهذيب التهذيب / لابن حجر

لواقح الأنوار / للشعراني

البيان والتبيين / للجاحظ

مسند أبي داود

مرآة الجنان / للياضي

شذرات الذهب / لابن العماد

طبقات ابن سعد

طبقات الأتقياء / لابن حبان

التذهيب / للذهبي